

# الرحلات الحجازية وصلة بين ثققتى العروبة

للأستاذ عبد العزيز بن عبد الله

واستقرت في مناطق بابل الى آسيا الصغرى ومنها انطلق الآخيون والدوريون في القرن الثالث عشر قبل الميلاد الى بحر ايجيه لتأسيس متمدنات اليونان . (1)  
نلا بدع اذن أن تستكمل الجزيرة العربية مسارها الحضارى في تاريخ المستقبل لانها هى النبع الوحيد الذى يفيض ليغمر تواريخ الانسانية في كل مكان وخاصة في الممور الذى رنرت عليه الوية الاسلام .

وقد تجلت هذه النفحات في آلاف الرحلات التى دونها المسلمون طوال ازيد من الف عام في مختلف بقاع الارض ليسجلوا انطباعاتهم وارتساماتهم في طريقهم للاحب السى الحرمين

وقد يكون من العبث محاولة تقصى هذه النفحات بالنسبة لاقليم بذاته فضلا عن المجموع غير أن استعراضا موجزا لرحلات ضمن مكان مخصوص كرحلات المغاربة في مختلف العصور تعطينا صورة عن مدى اسهام الفكر العربى المسلم في هذا الشق الغربى للعالم العربى في دعم مقومات الكيان الذى هو من أبرز مفاخر تراثنا ومظاهر وحدتنا .

وهاكم نبذة يسيرة ونموجا مقتضبا عن الرحالين المغاربة :

— ابراهيم السوسى العينى (المتوفى عام 1199 هـ / 1784 م) .

لا يوجد في تاريخ الانسانية موقع جغرافى حج اليه ملايين البشر في كل جبل مثل الجزيرة العربية ، ولا يوجد موطن استقطب خمس الانسانية في طموحاتها الفكرية وتطلعاتها الروحية مثل الحجاز ، الوطن الروحى الاول لكل مؤمن فادعاء الاغتراب في مهبط الوحى ومنطلق الرسالة المحمدية هو شذوذ في عقيدة كل مؤمن يستشف في مئوى الرسول رمز الرحمة والثالية واشعاع الروح وايباض الوجدان فلذلك لم تعرف مواقع السياحة الدولية مسارا اكثر استرواحا واشد استمراحا من هذه الارض الطاهرة التى ظلت كعبة الرواد منذ انطلقت دعوة ابراهيم الخليل الاب الثانى للبشرية تذكى الائمة والمشاعر خلال اربعة آلاف السنين وثناء القدر الذى هيا لهذه البقعة المقدسة أن تكون منارا للانسانية جمعاء — أن تكون أيضا منطلق الحضارات التى اشعت على الرافدين ونهر بارادا والبحر المتوسط وقد جمعا الحجج التاريخية النابعة من الحفريات الاثرية ومقارنة اللهجات السامية الدالة على أن الجزيرة العربية هى منبعق الحضارات السامية التى كيف اقاليم الهلال الخصيب وماوراءه اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا ولذلك يمكن القول بان العرب البائدة الاصلة هى التى نزحت من جنوب الجزيرة العربية حول الالف الثانية قبل الميلاد الى جنوب العراق

(1) راجع بحثا حول «اللغة الام» في مجلة اللسان العربى م 11 ج 1

له رحلة الى الحجاز في مجلدين

وقف على نصفها بخط المؤلف في مجلد الرحوم  
العلامة المختار السوسى في قرية داود (تبيلة اكلو  
بضواحي تزنييت جنوبي المغرب) وقد اختصرها محمد  
ابن مسعود المعدرى ووقف على الاختصار كذلك الشيخ  
المختار السوسى وهو مبتور كالأصل

— ابن ابي عسرية أحمد الفاسى النهري  
( 1137 هـ / 1724 م )

له رحلة حجازية نقل عنها صاحب «نشر المثاني»  
في ترجمة ابراهيم بن محمد الشاوى السريفي ونسبها  
له سلطان المغرب مولاى سليمان في كتابه «عناية اولى  
الجد» ولعلها ضاعت

— الازرقى أحمد بن محمد ابو محمد اسحاق  
الخرامى الفاسى له «تاريخ مكة» (نسخة بالمانيا  
الشرقية عدد 1705)

— ابن بطوطة محمد بن عبد الله بن محمد بن  
ابراهيم اللواتى الطنجى (779 هـ / 1377 م)

له «تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب  
الاسفار» وهى لا تزال مفقودة لم ينشر منها الا قسم  
اختصره ابن جزى (بامر السلطان ابي عنان المرينى)  
توجد نسخة منها بمكتبة جامعة القرويين بفاس (عدد  
1285) وست نسخ بالمكتبة الملكية بالرباط من عدد  
(151 الى 1356) ونسخة بالمكتبة العامة بالرباط (عدد  
1376) . طبعت مرارا اعوام 1278 / 1322 / 1346

— ابن جبير محمد بن احمد الكنانى الانطلى  
( 614 هـ / 1217 م )

له رحلة اسمها « تفكرة بالأخبار عن اتفاقات  
الاسفار » نشرها ويليام رايت Wright الانجليزى عام  
1269 هـ / 1852 م ) . كما نشرت في ليدن عام 1325 هـ  
1907 م ومخطوطاتها نادرة توجد نسخة مبتورة  
بالزاوية الحمزاوية بالمغرب وأخرى مبتورة أيضا بالمكتبة  
الملكية بالرباط (عدد 5855)

— ابن جزى محمد بن احمد ( 741 هـ / 1340 م )  
له فهرست كبيرة اشتملت على كثير من رجال  
المشرق ومن بينهم شيوخ الحجاز

— ابن جعفر أحمد الكنانى (1340 هـ / 1922 م)  
له فهرست عد فيها اشيأه المشاركة مع نصوص

اجازاتهم . توجد نسخة عند ولده الاستاذ محمد  
ابراهيم في ثلاثة كرايس .

— ابن جعفر محمد بن ادريس الكنانى ( 1345 هـ  
/ 1926 م ) .

له «الرحلة السامية للاسكندرية ومصر والحجاز  
والبلاد الشامية» ألفها في رحلته الاولى عام 1322 هـ /  
1904 م ومات دون إتمامها والموجود منها سبعة  
كرايس .

— ابن حسون احمد بن العربى الوزانى  
له «الرحلة الوزانية المزوجة بالمناسك المالكية  
(في 8 كرايس) رحل الى الحجاز عام 1269 هـ / 1852

توجد نسخة بخط المؤلف في خزانة الشيخ عبد  
الحنيف الفاسى وأخرى في الخزانة السودية بفاس .

— ابن رشيد محمد بن عمر بن محمد السبتي  
(المتوفى بفاس 721 هـ / 1321 م)

له رحلة تسمى «بلد العيبة بما جمع بطول  
الغبية في الوجهة الوجيبة الى الحرمين مكة وطيبة» (في  
خمس أجزاء مصورة بمعهد مولاى الحسن بتطوان  
وتوجد نسخة بالاسكوريال) .

— ابن سعيد المغربى على بن موسى العنسى  
( 685 هـ / 1286 م )

له «النفحة المسكية في الرحلة المكية» (بالإضافة  
الى رحلته «عدة المستنجز» ) .

— ابن سودة عبد القادر بن محمد بن عبد القادر  
ابن الطالب ( ولد عام 1301 هـ / 1883 م ) .

له «الرحلة الكبرى في هذا العالم برا وبحرا»  
( رحل الى الحج عام 1327 هـ / 1909 م ) وهى تقع  
في أربعة أجزاء طبع الاول منها بالمطبعة الجديدة بفاس .

— ابن طوير الجنة احمد المصطفى الصحراوى  
الحميرى الشننجي

له «رحلة المنى والمنا» قام بها بعد عام 1245 هـ /  
1829 م وهو غير ابن الطوير عمر المراكشى الذى  
شهر بالحجاز بأبى الخطاب السوسى (المتوفى 622 هـ /  
1225 م) .

— ابن الطيب محمد الصملى المتوفى بالمدينة  
النورة 1170 هـ / 1756 م .

- أبو القاسم بن يوسف التجيبي السبتي رحل الى المشرق عام 696 هـ / 1295 م .
- له رحلة وقف عليها ابن حجر ( كما في « الدرر الكامنة » ) في ثلاثة مجلدات ضخام هذا فيها حذو ابن رشيد الذي رحل قبله بعشر سنوات وزاد هو تضيفين الرحلة مشيخته مستوعبة .
- أحمد الشيخ بن عبد العزيز بن الرشيد الهلالي ( 1175 هـ / 1761 م ) له رحلة الى الشرق .
- أحمد بن عبد القادر بن علي القادري يدعى علاا عاش سبع سنوات في القاهرة وتوفي بفاس 1133 هـ / 1721 م .
- له رحلة سماها : « نسمة الاس في حجة سيدنا ابي المباس » ( أي أحمد بن معن الذي رافقه الى الحج عام 1100 هـ / 1689 م ) توجد في المكتبة الملكية عدد 8787 وكرايس منها في الخزانة الفاسية .
- أحمد بن علي بن محمد دينية الرباطي ( 1282 هـ / 1864 م ) .
- له رحلة الى الحج ( 1267 هـ / 1850 م ) ذكرها حفيده في كتابه « النسمات الندية ( طبعة الرباط 1936 ) .
- أحمد بن محمد أحزي الهشتوكي .
- له رحلة اسمها « هداية الملك العلام الى بيت الله الحرام وزيارة النبي عليه الصلاة والسلام » ( توجد بخط المؤلف بخزانة تمكروت بالصحراء رقم 276 ) وقد شرع في هذه الرحلة عام 1096 هـ / 1684 م .
- ادريس بن عبد الهادي الشاكري ( 1331 هـ / 1913 م )
- له رحلة حجازية في كراستين توجد نسخة منها في المكتبة العامة بالرباط عدد 1115 د ونسخة اخرى في مكتبة الكلاوي ، وقد حج عام 1288 هـ / 1871 م وفي رحلة ثانية الى الحج تسمى بالحجاز .
- الحسن اليوسي له رحلة جمعها ولده محمد تام بها عام 1101 هـ / 1689 م
- توجد نسخة منها في المكتبة الملكية بالرباط عدد 2343 .
- عبد الرحمن المدعو الغنامي الشاوي .
- له ثلاث رحلات منها رحلة قام بها عام 1139 هـ / 1726 م توجد نسخة نفيدة منها في خزانة ليبسيك Leipzig ( بالمانيا الشرقية ) وقف عليها الاستاذ محمد الفاسي .
- ابن عثمان محمد المكتاسي وزير السلطان المولى سليمان ( 1202 هـ / 1787 م )
- له « احراز المعلى والرقيب في حج بيت الله الحرام وزيارة القدس الشريف والتبرك بقبر الحبيب » ( نسخة لابن زيدان ضمت الى المكتبة العامة بالرباط ) .
- ابن العربي المعافري أبو بكر محمد بن عبد الله ( 543 هـ / 1148 م ) .
- له رحلة توجد نسخة منها في مكتبة السيد عبد الحي الكتاني التي ضمت الى المكتبة العامة بالرباط وهي في اسفار ذكرها الناصري في رحلته وأشار اليها المراكشي في الاعلام ج 5 ص 223 ) .
- ابن مليح محمد بن أحمد السراج .
- له « رحلة حجازية اسمها » انيس الساري والسارب من مطار المغرب الى منتهى الآمال والمآرب وسيد الاعاجم والاعراب » .
- ارتحل من مراكش عام 1040 هـ / 1630 م صحبة الركب الحجازي ( نسخة بالمكتبة الكتانية في عشرة كرايس عدد 3152 ) . وقد حققها الاستاذ محمد الفاسي .
- ابن ناصر محمد بن عبد السلام ( 1239 هـ / 1823 م ) .
- له « الرحلة الكبرى » في سفرين رحل عام 1196 هـ / 1781 م اختصرها المراكشي في الاعلام ( ص 193 — 233 ) — توجد نسخة في خزانة تامكروت في جزء ضخم ونسخة بالمكتبة العامة بالرباط عدد 2327 ( النصف الاول ) والمكتبة الملكية بالرباط عدد 147 .
- له رحلة صغرى قام بها عام 1211 هـ / 1776 م ( مجلد وسط في الخزانة الاحمدية ) .
- أبو راس محمد بن أحمد بن عبد القادر الناصري المسكري الجزائري الجليلي ( 1239 هـ / 1824 م ) .
- له عجائب ( او غرائب ) الاسفار ( نسخ بالجزائر عدد 1632 وتلمسان عدد 96 وبباريس عدد 5114 ) .

له رحلة ذكرها الشيخ الحضيكي في الطبقات  
— العربي بن علي المشرفي المسكري المتوفى  
أوائل العشرة الثانية من القرن الرابع عشر له «الرحلة  
العريضة في أداء الفريضة» يوجد طرف منها في الخزانة  
السويدية بفاس

— العربي بن محمد الدمناتي

له رحلة ذكرها أبو عيسى المهدي بن سوادة في  
ترجمته من فهرسته وقد رحل قبل 1244 هـ / 1828  
وهي تعد مفقودة

— محمد بن أحمد بن عبد الله الحضيكي

له رحلة حجازية (نسخة بالمكتبة العامة بالرباط  
عدد 896) وأخرى بالمكتبة الملكية عدد 405  
— محمد بن الحسن السبمي

له رحلة قام بها عام 1310 هـ / 1892 م (توجد  
نسخة منها بمكتبة الكتاني الملحقة بالمكتبة العامة  
بالرباط)

— محمد بن سعيد الرعيني الفاسي (778 هـ /  
1376 م)

له رحلة نظم فيها مراحل الحجاز (جذوة الاقتباس  
ص 147)

— محمد بن سليمان بن داود الجزولي (863 هـ  
1458 م)

له رحلة ذكرها ابن القاضي في «لقط الفرائد»

— محمد بن عبد القادر الاسحاتي المدعو  
الجيلالي المتوفى بعد 1150 هـ / 1737 م

له رحلة قام بها عام 1143 هـ / 1730 م مع  
السيدة خنائة بنت بكار أم السلطان مولاي عبد الله بن  
المولى اسماعيل العلوي (تقع في مجلدين يوجد الأول  
بخزانة جامعة القرويين) عدد ج ل 80 — 383

— محمد بن عبد الله الولاتي الشهير بمولاي  
الشريف (1101 هـ / 1689 م)

له رحلة حجازية ربما ضاعت (الاعلام للمراكشي  
ج 5 ص 48)

— محمد (أوحم) بن عبد الوهاب الوزير الفساني  
(1119 هـ / 1707 م)

«رحلة الوزير في افتكك الاسير»

له رحلة اشار اليها صاحب «صفوة من انتشر»  
ونقل عنها في «نزهة الحادي»

— عبد السلام بن محمد بن المعطي السرفيني  
الممرانسي المراكشي

له رحلة قام بها مع شيخه سيدي محمد الكتاني  
عام 1321 هـ / 1903 م توجد نسخة منها بخزانة الكتاني  
بالمكتبة العامة بالرباط

— عبد القادر بن أبي جيدة احمد الكوهن

له رحلة حجازية توجد نسخة منها بخزانة الكتاني

— عبد الله بن أحمد أبو مدين الروداني الدرعي  
(1137 هـ / 1723 م)

له رحلة حجازية ينقل عنها ابراهيم العيني في  
رحلته (نسخة بخزانة تمكروت في مجلد)

— عبد الله بن محمد الوردى المراكشي (كان حيا  
عام 999 هـ / 1590 م)

له رحلة حجازية (ذكرها ابن القاضي في درة  
الرجال ج 2 ص 342)

— عبد الله بن محمد بن أبي بكر أبو سالم  
العياشي (1090 هـ / 1679 م)

له رحلة اسمها «ماء الموائد» في مجلدين طبعت  
بفاس عام 1316 هـ / 1898 م

اختصرها محمد بن الحسن بناني (المكتبة الملكية  
نسخ عدد 629 الى 5259) ورحلة أخرى سماها  
«تعداد المنازل» ألفها لتلميذه احمد بن سعيد المكلتاسي  
نسخة بخزانة الشيخ عبد الحفيظ الفاسي

— عبد المجيد بن علي الزيادي المنالي الفاسي  
1209 هـ / 1794 م

له رحلة سماها «بلوغ المرام بالرحلة الى بيت الله  
الحرام» توجد نسخة منها في المكتبة العامة بالرباط رقم  
1808 د (في 184 ورقة) وأخرى بالخزانة الفاسية وقد  
تضمنت تصيدة رائية في 129 بيتا جامعة لمراحل  
الحجاز من مصر الى مكة مع مناسك الحج عليها شرح  
اسمه «اتحاف المسكين الناسك ببيان المراحل والمناسك  
لاحد تلاميذه تلاميذ الزيادي

— عبد الواحد بن الصنهاجي السوسي (1135 هـ  
1722 م)

له رحلة أخرى الى الحجاز

— محمد بن علي الراقمي التطوانسي

له الرحلة الشرقية الحجازية (توجد نسخة منها  
بمخزنة الاستاذ محمد داود بتطوان ) ( تاريخ تطوان )  
ج 1 ص 312 .

— محمد بن علي الطرابلسي المعروف بيزغوان  
له رحلة اسمها «النفحات القدسية في الرحلة  
الحجازية» (توجد نسخة بالمكتبة العامة بالرباط عدد  
1836 د (في 103 ورتات) .

— محمد بن علي المعروف بالعباشي (لقبا لانسابا)  
له رحلة حجازية ذكرها عبد المجيد بن علي  
الزيادي المثالي في رحلته حيث وقف عليها في مجلد بخط  
المؤلف بمخزنة رواق المغاربة بالازهر الشريف .

— محمد بن محمد المرابط الدلائسي الفاسي  
(1099 هـ / 1687 م)

له الرحلة المقدسة (136 بيتا) فذكر فيها منازل  
الحج من فاس الى المدينة المنورة (راجع البدور الضاوية  
لسليمان الحوات)

— محمد بن محمد بن علي العبدري المتوفى آخر  
المائة السابعة .

له رحلة قام بها عام 688 هـ / 1289 م تقع في  
مجلد وسط توجد نسخ بالزاوية الحماوية بالمصحاء  
المغربية وبالمخزنة الاحمدية بفاس وبمخزنة جامعة  
القرويين (عدد د 1012) والمكتبة الملكية بالرباط (1351  
6594 / 869 / 2810 وجامع الزيتونة (53) والمكتبة  
الوطنية بباريس (2283) وليدن (801) والاسكوريال  
(1738) اختصرها ابن تينغ في كتاب سماه «المسافة  
السنية في اختصار الرحلة العبدرية» (وقف علي  
الاختصار بسوس الشيخ المختار السوسي (راجع كتابه  
« من خلال جزولة » ) .

وقد طبع الرحلة الاستاذ محمد الفاسي عام  
1968 ، وكان لرحلته اثر كبير في الشرق حيث قرأ علي  
شيوخ جلة وتتلذذ عليه آخرون .

— محمد بن محمد بن محمد التامراوي (1285 هـ  
1868 م)

له رحلة قام بها عام 1242 هـ أوردها بنصها  
محمد المختار السوسي في كتابه المعسول ( ج 8  
ص 198 — 213 ) .

ومن فوائد الرحلة استيراد المؤلف لكتب كثيرة  
بخط مشرقى عززت التبادل الثقافي بين المشرق  
والمغرب (1) .

— محمد بن منصور العامري التازي (المتوفى  
حوالي 1170 هـ / 1756 م)

له «الرحلة العامرية» وصف فيها المراحل من  
تازة الى الحرمين والشام وهي همزية نظمها في 335  
بيتا عام 1152 هـ توجد نسخة بالمكتبة الاحمدية بفاس  
ونسختان بمكتبة الاستاذ محمد المتوفى بمكناس احدهما  
بخط المؤلف وقد نشر المتوفى نص هذه الرحلة في كتابه  
«ركب الحج المغربي» ص (88)

— نظم مراحل الحجاز مع شرحه لابن غازي  
المكناسي (النيل ص 272) ، وهناك رحلات أخرى غير  
هذه يتعذر استيفاؤها وانما اعطينا نماذج لنلمس مدى  
اهمية هذا النوع من التراث في القاء اضواء كاشفة علي  
جوانب خاصة من تاريخ الجزيرة العربية والاقتطار  
الواقعة في طريق الحجيج وهي دول المغرب العربي  
وليبيا ومصر بالنسبة اليها نحن المغاربة الرابضين بين  
البحر المتوسط والمحيط فهناك مثلا رحلات سوسية  
كثيرة منها في خصوص القرن الثاني عشر فقط علاوة  
علي ما ذكرنا رحلة ابي مدين ورحلة البيوركي ورحلتنا  
احمد احوزي الكبرى والصفري ورحلة عبد الواحد  
ابن الحسن الصنهاجي وغيرهم .

ولا توجد في جغرافية «المسالك والممالك» قطعة  
من الارض حظيت بعناية الرحالين والمؤرخين مثل  
الطرق الكبرى المؤدية الي الحجاز التي صنفت فيها مات  
الكتب المختلفة المنازع والاساليب ومات القصائد  
الحافلة بوصف المنازل والمراحل علاوة علي ما تطلع به  
من مشاعر الحنين التي جعلت من هذه الطرق لا  
متمبذات فقط بل مجيعات استوتقت عبرها الصلات  
بين الشعوب الاسلامية ومبادلة الاجازات بين العلماء  
وتلاقح الفكر العربي والاسلامي مما لم يعرف له نظير  
حتى بعد عصر النهضة وما طرا من سهولة وسرعة علي  
المواصلات .

(1) راجع كتابنا «رسل الفكر بين الشرق والغرب» في مختلف المعصور .

على منجزاته العلمية مثبتة بأرقامها في سجلات المكتبات المغربية العامة ويبدأ الآن « معهد المخطوطات » التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم تصارى الجهد لتصوير التراث وجعله في متناول الدارسين والباحثين من أجل تحقيقه وطبعه ولنضرب أمثلة بصدى تنوع مجالات ومجالي جوانب من تراثنا لم نتمكن بعد من تقييمها وبعضها منتشر في مخطوطات التراث فاذا اقتصرنا على من رحل من المغاربة الى الشرق للحج أو الجوار دون تصنيف رحلات خاصة عن أسفارهم وجدنا كثيرا من هؤلاء قاموا بدور طلائى في بلورة التبادل بين أجزاء العالم الإسلامى وقد كتبنا بحثا بعنوان « رسل الفكر بين المشرق والمغرب » لحنا فيه الى أهمية هذه الجوانب .

ومن هؤلاء : أحمد بن عبد الله الغربى الرباطى الدكالى (1178 هـ / 1764 م) رحل الى المشرق عام 1140 هـ / 1727 م وأخذ عن شيوخ مصر والحرمين وطار صيته في الحجاز فأصبح أحد سفراء الشرق لا في المغرب الاقصى وحده بل من فاس الى (داكار) نظرا للدور الذى كانت تقوم به جامعة القرويين وعلمائها بين الشناقطة وأهل السنغال من خلال مذهب واحد نفلت جذوره في قلب الحواضر والصحارى وهو مذهب اتمام المدينة مالك بن انس ويكنى ان نلاحظ ان المسمى على بن عبد القادر الشرقى باشا السودان (أى السودان الغربى أو السنغال الحالية) هو الذى ترأس ركيب حجيج السودان عام 1040 هـ / 1630 م محبة الرحالة المغربى ابن المليح الذى أشرنا آنفا الى رحلته حيث كانت مواكب الحجيج من (داكار) الى فاس تتجمع لتأليف قوافل ما يمكن ان نسميه اليوم بأفريقيا الشمالية الغربية .

وبعض هؤلاء الحجاج الذين لم يضموا الرحلات منفوا في « مناسك الحج واداب الزيارة » كأحمد بن تاسم جسوس (1331 هـ / 1912 م) الذى توجد مخطوطة كتابه في المكتبة العامة بالرباط عدد 1821، وأحمد بلقاسم الكرسيفى السوسى .

ومن المغاربة الذين جاؤوا في الحجاز وطافوا الممور ناقلين روائع الفكر الإسلامى الحجازى وخاصة المكى والمدنى الى مختلف الجهات :

— سليمان بن أحمد الطنجى المتوفى قبل 440 هـ

1048 م

بل ان طرقا صوفية سنية كطريق أبى محمد صالح دفين آسفى (وهو من رجال القرن الثامن امتدحه شعراء الشرق مثل البوصيرى) اقتصر شعارها الصوفى على ترحيل الحجيج من المغرب الى الحجاز وتوفير النزلات ومتطلبات السفر على طول المراحل وخاصة خلال الصحراء وكان هؤلاء الحجيج الذين لم تكن تخلو منهم الجادات والسبل الكبرى طوال السنة يتواكبون في ركيب موصول يسمى «الركب الصالحى» يستهدف بالإضافة الى أداء فريضة الحج توثيق الرباط بين الشعوب الإسلامى وكانت لأمواج الحجيج قوافل تنحدر من شنقيط وكبريات عواصم المغرب لتتجمع بسجلماسة أو مراكش أو فاس ومنها تتخذ طريقها متكافة عبر ما سباه الرحالة ابن المليح بطريق الفقهاء الى فقهاء المذهب المالكى الذين كانوا يناهزون عن متجمعات الخوارج في بعض مناطق المغربين الاوسط والأندلسى للانسلال من بلاد (فزان) الى أرض الكنانة .

وقد تبلور نتاج هذه الروابط علاوة على الرحلات فيما صنفه العلماء من فهارس واثبات سجلوا فيها اجازاتهم وارتساماتهم وما جنوه من ثمار خلال رحلاتهم فلم يقل هذا النوع من المعلومات فائدة ولا عائدة عن مضامين الرحلات وكانت الصلات حقا متبادلة الا انها نادرة بالنسبة للواردين على المغرب من الشرق ومع ذلك فان فكرهم التابع من اجازاتهم ودروسهم ومؤلفاتهم كان يرحل الى المغرب مع المعاندين فيسهم بحظ وافر في اثراء المكتبة العربية الإسلامى في المغرب العربى ومازالت مكتبائنا العامة والخاصة تزخر بنسواد المخطوطات الشرقية التى ضاع بعضها في المشرق واحتفظ المغرب بأصولها الفريدة ويندهش الباحث المشرقى عندما يتصفح فهارس المخطوطات بالمغرب فيجد مات المصنفات الاصلية التى لا تعرف مكتبات الشرق الا عناوينها محفوظة مصونة تنتظر توثيق التعاون بين شقي العروبة لاحياء هذه المعالم الناصعة لتراثنا المشترك وهو عمل يجب ان لا نتوانى في وضع التخطيطات الرصينة لبعثه لانه لا يقل أهمية عن باقى مقومات تراثنا ودعامات كياننا الحضارى ، وقد حاولنا استيفاء ما لدينا من عناصر هذا التراث في العملية التى اصدرناها بعنوان « الموسوعة المغربية للاعلام الحضارية والبشرية » والتى طبع منها لحد الآن خمس فصالات من خمسين تحتوى بالنسبة لكل عالم مغربى

(جذوة المتببس ص 208 طبعة 1952) .

— موسى بن ابراهيم ابو هارون الاعمش  
المحدث (516 هـ / 1122 م) الذى التحق بعد مقام في  
الحجاز بمصر وخراسان وما وراء النهر واتام بنيسابور  
(طبقات السبكي ومعجم ياقوت الحموي)

— علي بن عتيق بن عبد الرحمن الفاسي الاصولي  
المفسر الحافظ (كان حيا عام 726 هـ / 1325 م) الذى  
استقر بعد في « صغد » قبل العودة الى المغرب .

— محمد بن موسى المراكشي المكي الذى سمع  
من شيوخ مصر ثم رحل الى الشام والقدس واليمن  
حيث ولى مدرسة الناصر واتام بها الى ان توفي عام  
823 هـ / 1420 م (الاعلام للمراكشي ج 4 ص 50 /  
ذيول طبقات الحفاظ) ، وقد اجاز له ابن عرفة (شذرات  
الذهب ج 7 ص 162) .

— محمد بن محمد العتاد المكي (1030 هـ /  
1620 م) الذى مدح المنصور السعدى ملك المغرب  
بموشحة عارض فيها موشحتى ابن الخطيب وابن سهل  
وتولى قضاء اليمن بتدخل المنصور لادى خاتان ملك  
الانراك .

— محمد الجبدرى اليمتويى المغربى الذى كان  
احد اربعة لم يبلغ احد مبلغهم في عصره وهو القرن  
الثانى عشر الهجرى وكانت له جولات في الحجاز وسائر  
اقطار الشرق ، وقد اُنفرد بعض طولاء الشيوخ علماء  
الشرق او بعض عواصم الشرق بالتأليف حيث صنف  
(جازم) صاحب المقصورة وشيخ ابن رشيد السبتى  
« الدرّة المضية في تاريخ الاسكندرية » في مجلدات  
« والمستفاد من شيوخ بغداد » (درّة الحجال ص 137)  
وماتاب عواصم الشرق هو قتل من كثر مما كتب حول  
الحرمين الشريفين .

— عبد الله السوسى الاديب الشاعر الذى اتام  
بتونس وفاق اقرانه ثم توجه الى الشرق وخاصة  
الحجاز واستفاد من علمائه وعاد الى افريقية حيث  
نقله الامير على الى تونس (عيون الاريب عما نشأ  
بالمملكة التونسية من علم ابيب للشيخ محمد النيفرج 2  
ص 20 طبعة تونس 1351) .

محمد بن خليفة المدنى الرحالة الشاعر الذى توفى  
بكناس (1313 هـ / 1895 م) (الاعلام للمراكشي ج 6  
ص 178 — مخطوط) .

— محمد الفاطمى بن الحسين الصقلى الشاعر  
المحاضر لدين المدينة المنورة (1311 هـ / 1893 م) .

له تاريخ في علماء عصره (الاعلام للمراكشي ج 6  
ص 157 — مخطوط) ، وقد امتتحه بشيخه على بن  
ظاهر الوترى مسند المدينة المنورة (1261 هـ / 1322 م)  
الذى زار المغرب مرتين (1287 و 1297) واخذ عن  
علماء مغاربة جلة وابن ظاهر هذا هو الذى احيا موات  
الرواية بالمغرب واتمشها بالشرق (الاعلام للمراكشي  
ج 7 ص 135 — مخطوط) .

— محمد بن احمد بن سالم الصباغ المكي الذى  
توفي في رحلته الى المغرب (1321 هـ / 1903 م)

له « تحصيل المرام في اخبار البيت الحرام والمشارع  
المعظم » (الاعلام للزركلى ج 6 ص 247 / ملحق  
بروكلمان ج 2 ص 815 / دار الكتب المصرية ج 5 ص  
125) .

وهناك كتب اخرى انتشر خلالها تاريخ رجال  
الفكر من علماء الحجاز ككتاب « ايامس البرق في ابناء  
الشرق » لابن البار البلبسى (658 هـ / 1259 م)  
واسماء شيوخ مالك لابن خلفون (636 هـ / 1239 م) .  
(توجد نسخة منه بالاسكوريال لـ 1747) ومسند حديث  
مالك لابن الدباغ خلف بن تاسم (393 هـ / 1003 م)  
وشروح الموطن كشرح ابن صاب الفاسى (642 هـ /  
1244 م) و« تهذيب المسالك في نصرة مذهب مالك » لابن  
دوناس الفند لاوى (543 هـ / 1148 م) (توجد نسخة  
منه في المكتبة الحمزاوية بصحراء المغرب) والتمهيد لابن  
عبد البر وشروح ابي بكر بن العربي المعافى وشروح  
ابن السيد البطلليوسى (521 هـ / 1127 م) و « المرعب  
في شرح الموطن » لابن الصغار يونس (429 هـ / 1038 م)

تلك فذلكة مقتضبة يتضح لنا من خلالها مدى ما  
يمكن ان نستعيده من بعث تراثنا العربى الاسلامى في  
مختلف مظاهره ومعطياته وهو بعث كتيل بالاسهام في  
دعم تاريخ العروبة والاسلام وخاصة في مهددها  
بالجزيرة العربية عموما والحرمين الشريفين خصوصا  
كما يتضح لنا منها مدى متانة الروابط وعمق الصلات  
التي كانت تجمع بين شقي العروبة شرقا وغربا والتي  
جعلت من ارض الحجاز مهبطا لامتدتها ، وملتقى  
لعلمائها ومنزلا روحيا لابنتها على مر العصور .